

الحلقة المئة

أقوال المسيح

برنامج أنوار كاشفة

أهلاً ومرحباً بك مستمعي العزيز في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. يسرنا أن نتابع تقديم هذه السلسلة وهي تحت عنوان: «أقوال المسيح». لقد تكلم المخلص يسوع المسيح بأقوال عديدة مليئة بالحكمة، مما أثار إعجاب الناس من حوله، كما أكدت أيضاً على سلطانه الإلهي.

هل تتوق مستمعي إلى حياة المحبة؟ أي أن تكون محبوباً لدى الآخرين وأن تعاملهم أنت أيضاً بالمحبة؟ وهل تعلم أن ما تفتقد إليه مجتمعاتنا اليوم هو المحبة؟ فالذي نراه منتشر مع الأسف، هو الأنانية ومحبة الذات. لا بل نجد أحياناً العداوة والبغضاء والكرهية. فكل إنسان يريد تأمين مصالحه الخاصة ولو على حساب الآخرين. وأحياناً نجد هذا الأمر حتى بين أفراد العائلة الواحدة، مما يثير انقسامها ويوجد البغضة بين أفرادها. فإذا كان هذا الأمر مستقلاً في المجتمع فلا غرابة أن تكون المحبة صعبة المنال، لابل من المستحيل تحقيقها.

عند العشاء الأخير للمخلص المسيح مع تلاميذه قال لهم: «وَصِيَّةٌ جَدِيدَةٌ أَنَا أُعْطِيكُمْ: أَنْ تُحِبُّوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا. كَمَا أَحْبَبْتُمْ أَنَا تُحِبُّونَ أَنْتُمْ أَيْضًا بَعْضُكُمْ بَعْضًا. بِهِذَا يَعْرِفُ الْجَمِيعُ أَنَّكُمْ تَلَامِيذِي: إِنْ كَانَ لَكُمْ حُبٌّ بَعْضًا لِبَعْضٍ» (بشارة يوحنا ١٣: ٣٤-٣٥). لقد قال المخلص المسيح عن هذه الوصية التي أعطاها لتلاميذه، إنها وصية جديدة. وبالفعل كانت هذه وصية جديدة لم يسمع بها العالم ولم يعرفها من قبل، أن يحب الإنسان أخاه الإنسان. فكان كل ما يعرفه العالم هو الأنانية ومحبة الذات، والبغضة والكرهية والعداوة.

هل تعلم مستمعي لماذا نادى المسيح بمبدأ المحبة؟ لأن المحبة هي من طبيعة الله. فالله هو محبة كما كتب عنه الرسول يوحنا. ولهذا لا بد لمحبة الله أن تنعكس على الذين يدعون أنهم يؤمنون بالله، وإلا لخالفوا طبيعة الله المحب القدوس. سنتأمل الآن بحديث المسيح الهام هذا فابقوا معنا.

صديقي المستمع، لقد دعا المسيح تلاميذه أن يحبوا بعضهم بعضاً. وضرب المثال من نفسه، ولهذا قال لتلاميذه أيضاً: «لَيْسَ لِأَحَدٍ حُبٌّ أَعْظَمُ مِنْ هَذَا: أَنْ يَضَعَ أَحَدٌ نَفْسَهُ لِأَجْلِ أَحِبَّائِهِ» (بشارة يوحنا ١٥: ١٣). إن المسيح قد أحب ليس تلاميذه فحسب بل البشر جميعاً، وبذل جسده كفارة من أجلهم. وهو عندما قال لتلاميذه: «كَمَا أَحْبَبْتُمْ أَنَا تُحِبُّونَ أَنْتُمْ أَيْضًا بَعْضُكُمْ بَعْضًا». أراد أن يقول لهم:

عليكم أن تحبوا بعضكم بعضاً في نفس الكيفية والنوعية التي أحببتكم بها. وهذا يعني أن تكون محبتكم لبعض شديدة وباذلة ومضحية من أجل بعضكم البعض. ولهذا أضاف قائلاً: «بِهَذَا يَعْرِفُ الْجَمِيعُ أَنَّكُمْ تَلَامِيذِي: إِنْ كَانَ لَكُمْ حُبٌّ بَعْضًا لِبَعْضٍ». فممارسة المحبة العملية هي الدليل والبرهان على أن هذا الإنسان هو من المؤمنين بالمسيح ومن تلاميذه. وليس هذا فحسب بل هي شهادة وإعلان للناس جميعاً أن هؤلاء هم حقاً من المؤمنين بالمسيح ومن تلاميذه.

فيا لها من ميزة هامة تميز المؤمنين بالمسيح، أنهم يتحلون بالمحبة ويسلكون بموجبها. فهل وجدت أو عرفت مستمعي أية ديانة أخرى تنادي بالمحبة؟ وتدعو المؤمنين بها لكي يطبقوا المحبة في حياتهم؟ مع العلم أن المسيح قد نادى بالمحبة في مناسبات عديدة. فنجده عند الموعظة على الجبل يقول: «سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ: تُحِبُّ قَرِيْبَكَ وَتُبْغِضُ عَدُوَّكَ. وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ. بَارِكُوا لِعَيْنِكُمْ. أَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضِكُمْ، وَصَلُّوا لِأَجْلِ الَّذِينَ يُسِيئُونَ إِلَيْكُمْ وَيَطْرُدُونَكُمْ، لِكَيْ تَكُونُوا أَبْنَاءَ أَبِيكُمْ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ... لِأَنَّهُ إِنْ أَحْبَبْتُمْ الَّذِينَ يُحِبُّونَكُمْ، فَأَيُّ أَجْرِ لَكُمْ؟ (بشارة متى ٥: ٤٣-٤٥، أ، ٤٦)».

على الإنسان إذن لكي يكون من أولاد الله فعلاً، لا أن يحب الآخرين من حوله فحسب، بل أن يحب أعداءه أيضاً. وأن لا يقابل الاساءة بالاساءة بل أن يبارك لاعدائه، ويحسن إلى مبغضيه، ويصلي من أجل الذين يسيئون إليه ويضطهدونه. فهل هناك من مبدأ أسمى من هذا المبدأ الذي وضعه المخلص المسيح؟

لعلّ السؤال الآن: كيف بإمكان المرء أن يتحلّى بصفة المحبة؟ بما أن المحبة كما ذكرنا هي من طبيعة الله، فلن نستطيع تطبيق مبدأ المحبة في حياتنا إلا إذا أخذنا طبيعة الله. ولن نستطيع الحصول على هذه الطبيعة إلا إذا اخترنا محبة الله في حياتنا.

تستطيع مستمعي أن تختبر محبة الله عندما تؤمن بالمخلص المسيح ويعمله الكفاري من أجلك على الصليب، فهو على الصليب مات بدلاً عنك آخذاً عقاب خطاياك. وعندما تؤمن بالمخلص المسيح تُغفر خطاياك، وتصبح من أولاد الله، وعندها تأخذ طبيعة الله بحلول روح الله القدوس في داخلك. وهذا ما نسميه بالولادة الروحية الثانية، أو الولادة الجديدة عندما يأخذ الإنسان طبيعة روحية جديدة. هذه الطبيعة الجديد هي التي تبدل حياتك من الداخل، وتجعلك تتحلّى بالصفات الإلهية السامية وعلى رأسها صفة المحبة. وعندها تستطيع أن تسلك بالمحبة تجاه الناس جميعاً.

إن صفة المحبة هي صفة واسعة جداً تشمل الكثير من نواحي حياة الإنسان. ولقد عدّ الرسول بولس أهم صفات المحبة عندما كتب قائلاً: «الْمَحَبَّةُ تَتَأَنَّى وَتَرْفُقُ. الْمَحَبَّةُ لَا تَحْسِدُ. الْمَحَبَّةُ لَا تَتَفَاخَرُ، وَلَا تَتَفَخَّرُ، وَلَا تُفَبِّحُ، وَلَا تَطْلُبُ مَا لِنَفْسِهَا، وَلَا تَحْتَدُّ، وَلَا تَظُنُّ السُّوءَ، وَلَا تَفْرَحُ بِالْإِثْمِ بَلْ تَفْرَحُ بِالْحَقِّ، وَتَحْتَمِلُ كُلَّ شَيْءٍ، وَتُصَدِّقُ كُلَّ شَيْءٍ، وَتَرْجُو كُلَّ شَيْءٍ، وَتَصْبِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ. الْمَحَبَّةُ لَا تَسْقُطُ أَبَداً». ثم ختم الرسول بولس كلامه عن المحبة قائلاً: «أَمَّا الْآنَ فَيَثْبُتُ: الْإِيمَانُ وَالرَّجَاءُ وَالْمَحَبَّةُ، هَذِهِ الثَّلَاثَةُ وَلَكِنَّ أَعْظَمَهُنَّ الْمَحَبَّةُ» (كورنثوس ١٣: ٤-٨، ١٣).

حقاً، ما أعظم المحبة وكل ما ينتج عنها من سلوك سام. ففي المحبة لا يحسد الإنسان أخاه، ولا يطلب ما لنفسه، أي لا يعود أنانياً محباً لذاته، بل يضحى من أجل الآخرين، ويسعى لراحتهم كما يسعى لراحة نفسه. ألا تود مستمعي أن تمتلك صفة المحبة؟ لم لا تؤمن الآن بالمخلص المسيح، وهكذا تصبح المحبة جزءاً لا يتجزأ من حياتك؟